الأنباء
السبت 17 نوفمبر 2012

«لوحة الأمن الجميلة التي نعيشها، نرسمها نحن بأيدينا، ونسهم في صنعها بأنفسنا ـ بعد توفيق ربنا سبحانه ـ حينما نستقيم على ديننا، ونؤدي صلاتنا، ونبر والدينا، ونصل رحمنا، ونوقر كبيرنا، ونرحم ضعيفنا ونعرف لعالمنا حقه، لوحة الأمن نسهم في صنعها حينما نتعامل مع الواقع بميزان الشرع والعقل، بعيدا عن الأهواء والعواطف والرغبات الشخصية» هذا ما أكده الشيخ د. عادل المطيرات. أكد المطيرات على أهمية الاتحاد مع حكامنا صفا واحدا عند الفتن، مع مناصحتهم بالسر، ونترك الخلافات جانبا ونحاول حلها بهدوء، مشيرا إلى أن العلماء قالوا (قد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة). «الأنباء» التقت أستاذ كلية الشريعة بجامعة الكويت د. عادل المطيرات، لاستذكار نعمة الأمن في بلادنا التي يغفل عنها الكثير، وافتقدتها كثير من الأوطان، وعن مقوماتها وأسباب دوامها وسبل شكر الله عليها، وفيما يلي نص اللقاء:

كتب: ضاري المطيري

أكد أن نعمة الأمن تدوم بتوحيد الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجانبة البدع والخرافات

المطيرات لـ «الأنباء»: علينا التوحد مع حكامنا ومناصحتهم في السر والسمع والطاعة لأوامرهم وترك الخلاف وحل مشاكلنا بهدوء

مع ما نعيش فيه من فتن واختلاف وجهات النظر وتشاحن شديد، هل من كلمة توجيهية؟

● إن الاختلاف من طبيعة البشر، ولا يزال الناس يختلفون في أمور دنياهم لحكم يقدرها الله سبحانه، قال عز وجل: (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)، يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإن مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته، ألا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، كل يرى الحق فيما قاله، والضلال في قول غيره.

(إلا من رحم ربك) فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به، والاتفاق عليه، فهؤلاء سبقت لهم سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي. وأما من عداهم، فهم مخذولون موكولون إلى أنفسهم، وقوله: (ولذلك خلقهم) أي: اقتضت حكمته أنه خلقهم، ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفقون والمختلفون، والفريق الذين هدى الله، والفريق الذين حقت عليهم الضلالة، ليتبين للعباد عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر، ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء.

إذا كان الاختلاف من طبيعة البشر فإن العقلاء أهل العقل والحكمة هم الذين يدركون هذا الأمر حق الإدراك، ولذلك يسعون بكل وسعهم وجهدهم لمحاولة جمع الناس على كلمة الحق والهدى والرشاد، وإطفاء نار العداوة والبغضاء بين أبناء المجتمع الواحد.

وأوضح دليل على ذلك ما حصل في عام الجماعة في عهد الحسن بن علي رضي الله عنهما حينما تنازل عن الخلافة لأخيه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عن الجميع، مقدما للتاريخ أنموذجا رائعا لإنهاء الخلاف بين المسلمين، والتنازل عن الأمور الدنيوية من أجل المصلحة العامة.

إنها حكمة العقلاء، إنه عقل الحكماء، يتنازل الحسن رضي الله عنهما عن الخلافة والملك لحقن دماء المسلمين، ولاجتماع الأمة، وأي منفعة أرجى للمسلمين من حقن دمائهم، وتأمين روعاتهم، والحفاظ على ضروريات معاشهم.

كان الحسن رضي الله عنه ذا شخصية مهيبة، تتصف بالقيادة العسكرية والسياسية والأخلاقية، فعندما تولى الخلافة كانت جبهته قوية حتى قال: (كانت جماجم العرب بيدي تحارب من حاربت وتسالم من سالمت). وقال ابن تيمية في ذلك: (فقد كان بمقدور الحسن أن يقاتل معاوية بمن كان معه... ولكن الحسن كان ذا خلق يجنح إلى السلم).

ولهذا نجده كان يخاطب أباه عليا رضي الله عنه: ويقول له: «يا أبت، دع هذا فإن فيه سفك دماء المسلمين ووقوع الاختلاف بينهم»، فتنازل الحسن رضي الله عنه عن الخلافة لم يكن عن ضعف، بل عن قوة محفوفة بالحرص على دماء المسلمين ووحدتهم.

إن الاجتماع وعدم التفرق أصل عظيم من أصول هذا الدين، إن الدين يدعو إلى الاجتماع ووحدة الصف وجمع الكلمة، وعدم التفرق وتشتيت الشمل.

إن قوة الدولة وكيانها إنما يكون باجتماع الكلمة ووحدة الصف، الاجتماع ووحدة الصف يساعدان المجتمع على مواجهة التحديات، ويعملان على تحقيق وعي الأمة بفهم ذاتها فهما صحيحا.

الاجتماع ووحدة الصف يحققان الألفة والمحبة، وكل ما يؤدي إلى الترابط في المجتمع.

في الاجتماع تقوية لجانب المسلمين في المجتمع الواحد، ورفع روحهم المعنوية انطلاقا من الاعتقاد بأن يد الله مع الجماعة، ومن كانت يد الله معه كان واثقا من نصر الله تعالى، ثبت في سنن الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يد الله مع الجماعة».

الاجتماع يخيف الأعداء، ويلقي الرعب في قلوبهم، ويجعلهم يخشون شوكة الإسلام والمسلمين، ومن ثم يكون الاجتماع عزة للمسلمين، إن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هي الدعامة الوطيدة لبناء الأمة، ودوام دولتها، ونجاح رسالتها.

إن القاعدة الأصيلة بين المسلمين أن يسعوا في كل أمر يؤلف بين قلوبهم ويجمع كلمتهم، ويوحد رأيهم، وأن ينابذوا كل ما يضاد ذلك.

ولذلك وجب علينا جميعا وخصوصا عند الفتن وغياب صوت الحق والحكمة أمران: الأول: أن يتحد أفراد المجتمع ويكونوا صفا واحدا، ويتركوا الخلافات جانبا، ويحاولوا حلها بهدوء.

ثانيا: أن يتحدوا مع حكامهم ويكونوا معهم صفا واحدا، ويناصحوهم بالسر، وأن يسمعوا ويطيعوا لهم في غير معصية الله، فإنه كما يقول العلماء: قد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمام، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة.

د. عادل المطيرات

يقول العلماء: «قد علم بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة ولا جماعة إلا بإمام ولا إمامة إلا بسمع وطاعة»

الحسن بن علي نموذج للمصلح بتنازله عن الخلافة لمعاوية ـ رضي الله عنهم ـ حقناً للدماء وجمعاً للكلمة

كيف تنظر الشريعة الإسلامية إلى نعمة الأمن والإيمان؟

● فقد ثبت في سنن الترمذي عن عبيد الله بن محصن رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من أصبح منكم آمنا في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا»، حديث عظيم، يخاطب فيه النبي ﷺ أمته، ويخبرهم بأن الإنسان إذا تحققت له ثلاثة أمور: الأمن في وطنه، والمعافاة في جسده، وتأمين لقمة العيش، فكأنما ملك الدنيا كلها.

من أعظم النعم التي ينعم بها علينا ربنا سبحانه نعمة الأمن والأمان في الوطن والصحة في الأبدان، نعمة يغفل عنها وعن شكرها كثير من الناس، نعمة افتقدتها كثير من الأوطان.

تأملوا جيراننا من الأمم والشعوب، منهم من ابتلاه الله بالحروب، فدكدكت منازلهم بالمدافع والقنابل والصواريخ، وقتل أطفالهم، وشرد عيالهم، يصبح المرء منهم على أزيز الطائرات وصوت المدفعيات، لا يدري هل يمسي في يومه هذا حيا أم لا؟ يخرج الواحد منهم في الصباح الباكر يلتمس الرزق تاركا أولاده في المنزل، وعندما يعود يجد المنزل قد تحول إلى كوم من التراب على رؤوس الصغار.

نعمة الأمن كانت أول دعوة لأبينا الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حينما قال: (رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات) فقدم إبراهيم عليه السلام نعمة الأمن على نعمة الطعام والغذاء، لعظمها وخطر زوالها.

إن أشهى المأكولات وأطيب الثمرات لا تستساغ مع ذهاب الأمن ونزول الخوف والهلع، ذلكم أنه لا غناء لمخلوق عن الأمن، مهما عز في الأرض، أو كسب مالا أو شرفا أو رفعة.

إن الديار التي يفقد فيها الأمن صحراء قاحلة، وإن كانت ذات جنات وارفة الظلال.. وإن البلاد التي تنعم بالأمن تهدأ فيها النفوس، وتطمئن فيها القلوب وإن كانت قاحلة جرداء.

في رحاب الأمن، يأمن الناس على أموالهم ومحارمهم وأعراضهم.. وفي ظلال الأمن، يعبدون ربهم ويقيمون شريعته ويدعون إلى سبيله.. في رحاب الأمن وظله تعم الطمأنينة النفوس، ويسودها الهدوء، وترفرف عليها السعادة، وتؤدى الواجبات باطمئنان، من غير خوف هضم ولا حرمان.

إن نعمة هذا أثرها، لجديرة أن نبذل في سبيلها كل رخيص ونفيس، وأن تستثمر الطاقات وتسخر الجهود والإمكانات في سبيل الحفاظ عليها وتعزيزها.

وكيف يمكن أن تسلب هذه النعمة وتزول؟

● إذا تخلى أبناء المجتمع عن دينهم وكفروا نعمة ربهم أحاطت بهم المخاوف، وانتشرت بينهم الجرائم، وانهدم جدار الأمن، وادلهم ظلام الخوف والقلق، وهذه سنة الله التي لا تتخلف في خلقه، قال تعالى: (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الخوف والجوع بما كانوا يصنعون).

الأمن والإيمان قرينان، فلا يتحقق الأمن إلا بالإيمان.. قال تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون).

لابد أن ندرك أن نعمة الأمن لا توجد إلا بوجود مقوماتها، ولا تدوم إلا بدوام أسبابها.

إذن ما مقومات الأمن وأبرز أسبابه التي بها يدوم؟

● أولا: توحيد الله والإيمان به، والتخلص من خوارم العقيدة، ومجانبة البدع والخرافات. إن الأمن الذي نعيشه ونتفيؤ ظلاله، إنما هو منحة ربانية، ومنة إلهية، مربوطة بأسبابها ومقوماتها، والتي من أعظمها، إقامة شرع الله، وتنفيذ حدوده، وتحقيق عقيدة التوحيد ومناصرتها والدعوة إليها. قال تعالى: (فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف).

ثانيا: مما يحقق الأمن في البلاد: تربية الأمة على طاعة الله تعالى، والاستقامة على شرعه، والبعد عن معصيته.. إن النفوس المطيعة لا تحتاج إلى رقابة القانون وسلطة الدولة لكي تردعها عن الجرائم، لأن مراقبة الله مهمة والوازع الإيماني في قلب المؤمن يقظ لا يغادره في جميع الأحوال.

ثالثا: التمسك بالكتاب والسنة، والعناية بالعلم الشرعي فالعلم عصمة من الفتن، وللتعليم الشرعي أساس في رسوخ الأمن والاطمئنان، قال ابن القيم رحمه الله في «إعلام الموقعين»: «وإذا ظهر العلم في بلد أو محلة قل الشر في أهلها، وإذا خفي العلم هناك ظهر الشر والفساد».

رابعا: القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على المستوى الفردي والشعبي والرسمي، بالحكمة والموعظة الحسنة، فهو صمام أمان، يمنع الشرور والآفات عن المجتمعات، وبه يحصل العز والتمكين في الأرض، قال سبحانه: (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز. الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر).

خامسا: مما يحقق الأمن في البلاد: العدل في كل جوانب الحياة، فالراعي مع رعيته، والأب مع أهله وزوجاته وأولاده، والمعلم مع طلابه، والرئيس مع مرؤوسيه، وصاحب العمل مع عماله، في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته»، ومتى تحقق العدل دام الأمن بإذن الله.

سادسا: تهيئة المحاضن التربوية للشباب والناشئة، ودعم كل المؤسسات العاملة في تربية الناشئة، من حلق تعليم القرآن الكريم والنوادي والمراكز الصيفية الدعوية، على أن يقوم عليها من يتبع المنهج السليم، وفق الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

سابعا: معالجة أسباب انحراف الأبناء، بسبب ما تعيشه بعض البيوت من فقر أو نزاعات وشقاق، وما ينتج عنها من حالات طلاق وتشرد وشقاق.

ثامنا: أن يقوم العلماء والدعاة والمربون بدورهم في احتواء الشباب، ومعالجة الأحداث، وتقريب وجهات النظر، وتهدئة الانفعالات، وفتح قنوات الحوار الهادف الهادئ مع الشباب، لترشيد حماسهم وتوجيه انفعالهم وتسخير طاقاتهم في خدمة الأمة لا في هدمها.

هل من كلمة أخيرة في ختام اللقاء؟

● لوحة الأمن الجميلة التي نعيشها، نرسمها نحن بإذن الله بأيدينا، ونسهم في صنعها بأنفسنا ـ بعد توفيق ربنا سبحانه ـ حينما نستقيم على ديننا، ونؤدي صلاتنا، ونبر والدينا، ونصل رحمنا، ونوقر كبيرنا، ونرحم ضعيفنا ونعرف لعالمنا حقه.

لوحة الأمن، نسهم في صنعها حينما نتعامل مع الواقع بميزان الشرع والعقل، بعيدا عن الأهواء والعواطف والرغبات الشخصية. لوحة الأمن، نسهم في صنعها حينما نحفظ حدود الله، ونتقي محارم الله، ونشكر نعم الله، قال سبحانه: (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد).

الأمن التام هو في توحيد الله تعالى، وطاعته، ولزوم شكره وذكره وحسن عبادته، قال سبحانه: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب).

إن المعاصي والأمن لا يجتمعان، فالذنوب مزيلة للنعم، وبها تحل النقم، قال سبحانه: (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)، وما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، والطاعة هي حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، وول علينا خيارنا، واكفنا شرارنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك يارب العالمين.